Journal Of the Iraqia University (74-9) January (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

تمثلات الديستوبية النفسية في اعمال الفنان ادوارد مونك

الجين محمد جبر

أ٢ . م .د شيماء وهيب

1جامعة البصرة , كلية الفنون الجميلة ,قسم التشكيلي ,رسم ,العراق

Representations of Psychological Dystopia in the Works of Edvard Munch

1Lujain Mohammed Jepur 2Asst. Prof. Dr Shaymaa Waheeb khudhaier.
1University of Basra, College of Fine Arts, Department of Fine Arts, Drawing, Iraq
2University of Baghdad College of Fine Arts, Department of Fine Arts, Drawing, Iraq.
shaimaa.khodair@cofarts.uobaghdad.edu.iq
Am8277829@gmail.com

Abstract

This study explores “The Representations of Psychological Dystopia in the Works of Edvard Munch”, focusing on how anxiety, illness, and existential isolation are visually manifested in his paintings as a reflection of modern psychological collapse. The research problem investigates how Munch’s personal experience was transformed into a symbolic visual language expressing collective psychological dystopia. The study consists of four chapters: Chapter One presents the research problem, significance, objectives, key terminology, and methodology. Chapter Two includes two theoretical sections (mabahith): the first defines the concept of dystopia and its transition from literature to art, while the second examines the dystopian features in Edvard Munch’s artworks. It concludes with the formulation of analytical indicators used in analysis. Chapter Three outlines the methodological procedures, defining the research population, selecting a purposive sample of three paintings, and analyzing them using a visual-psychological tool based on the indicators. Chapter Four presents the research findings and general conclusions.**Keywords**: Representations, psychological dystopia, Edvard Munch.

ملخص البحث

يتناول هذا البحث موضوع "تمثلات الديستوبيا النفسية في أعمال الفنان إدوارد مونك"، ويبحث في كيفية تجسد القلق، المرض، والعزلة الوجودية في أعماله التشكيلية، بوصفها تعبيرًا بصريًا عن مأزق الذات الحديثة. وتتبع مشكلة البحث من التساؤل حول الكيفية التي تحوّلت بها التجربة الذاتية لمونك إلى لغة تشكيلية تحمل سمات ديستوبيا نفسية جماعية. تضمن البحث أربعة فصول: الفصل الأول: عرض مشكلة البحث، أهميته، أهدافه، مصطلحاته، والمنهج المستخدم. الفصل الثاني: تضمن مبحثين نظريين، الأول تناول مفهوم الديستوبيا وتحولاتها من الأدب إلى الفن، والثاني تناول ملامح الديستوبيا في أعمال إدوارد مونك، وانتهى الفصل باشتقاق المؤشرات التحليلية المعتمدة في الدراسة. الفصل الثالث: تناول الإجراءات المنهجية، حيث تم تحديد مجتمع البحث، واختيار عينة قصدية من ثلاث لوحات لمونك، وتحليلها باستخدام أداة فنية نفسية مستندة إلى المؤشرات ,الفصل الرابع: خُصص لعرض نتائج البحث واستنتاجاته. **الكلمات المفتاحية :** تمثلات , الديستوبيا النفسية . إدوارد مونك

الفصل الأول اولا : مشكلة البحث

شهدت نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين تحولات جذرية في الوعي البشري، حيث تسارعت وتيرة التغيرات الاجتماعية، والنفسية، والسياسية، وظهرت بوادر القلق الوجودي والانعزال الذاتي كسمات بارزة للعصر الحديث. في هذا السياق، برزت أعمال الفنان النرويجي إدوارد مونك (Edvard Munch) كنافذة بصرية توثق تحولات النفس البشرية وصراعاتها العميقة، لاسيما تلك المرتبطة بالموت، والقلق، والجنون،

والوحدة.ورغم ارتباط مونك بالحركة التعبيرية، فإن أعماله تجاوزت التمثيل الرمزي للمشاعر الفردية لتتغلغل في فضاءات أكثر ظلمة، تعكس انهيار العالم الداخلي للإنسان وتفكك المجتمع الحديث، وهي سمات قريبة من المفهوم المعاصر لـ"الديستوبيا". وعلى الرغم من تناول العديد من الدراسات لأسلوب مونك ومضامينه النفسية، إلا أن بعده الديستوبي لم يُتناول بشكل صريح أو مستقل في الدراسات العربية، خاصة من ناحية تشخيص وتحليل تمثّلات الديستوبيا البصرية في أعماله و تشكل أعمال إدوارد مونك (١٨٦٣–١٩٤٤) علامة فارقة في تاريخ الفن الحديث، حيث تجسد رؤية تشاؤمية عميقة تنبأت باضطرابات القرن العشرين الوجودية.وعليه، تنبع مشكلة البحث حول كيفية تجسيد إدوارد مونك لمفاهيم الديستوبيا داخل لوحاته، وتمثيلاته للقلق، والانعزال، والتشظي النفسي، ضمن سياق بصري رمزي يتقاطع مع التحولات الفكرية التي سبقت الحروب العالمية، ومع الانهيارات الفردية التي أصبحت تعبيرًا عن فشل المثال الطوباوي في تحقيق الذات الحديثة.وبناء على ماسبق يكون تساؤل البحث كيف تمثّلت مفاهيم الديستوبيا في أعمال إدوارد مونك، وما هي أبرز السمات البصرية والنفسية التي تجسد الانهيار الداخلي والقلق الوجودي في لوحاته؟

ثانيا: أهمية البحث والحاجة اليه

تسليط الضوء على قراءة جديدة لأعمال مونك من خلال منظور "الديستوبيا"، ما يمنح بُعدًا تفسيرياً حديثًا لأعماله.

إثراء المكتبة العربية بدراسة فنية تحليلية تربط الفن التعبيري بظواهر فكرية وفلسفية حديثة كالأزمات النفسية والأنطولوجيا السوداوية.

توظيف مقاربات نقدية معاصرة لتحليل الأعمال التشكيلية من منظور يربط بين الجماليات والتاريخ والوعي الجمعي.

ثالثا :هدف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحليل أبرز الأعمال التشكيلية لإدوارد مونك التي تتضمن تمثّلات بصرية للديستوبيا النفسية والاجتماعية تحديد الخصائص البصرية والأسلوبية التي استخدمها مونك لتمثيل القلق والخوف والانفصال.

رابعا :حدود البحث

الحدود الموضوعية: دراسة تمثّلات الديستوبيا فقط في أعمال مونك،

الحدود المكانية: أعمال مونك المتاحة في الأرشيفات الرقمية والمتاحف العالمية التي تم توثيقها بصريًا وتحليليًا.

الحدود الزمانية: الأعمال المنتجة بين عامي ١٨٩٠ و١٩١٠، وهي الفترة التي شهد ت ظهور أبرز لوحاته ذات الطابع الديستوبي.

خامسا :تحديد المصطلحات

الديستوبيا (Dystopia)مفهوم يُشير إلى مجتمع خيالي مستقبلي يعاني من الظلم والقمع والانهيار القيمي، عالم أو مجتمع متخيل يعيش فيه الناس حياة بائسة وغير إنسانية وخائفة (merriam–webster)وغالبًا ما يُستخدم لوصف حالات الانحدار الحضاري أو النفسي. يُستخدم في هذا البحث للإشارة إلى الانهيار الداخلي للذات والقلق الوجودي كما تجسد في الأعمال البصرية.**التمثّلات:** مفردها تمثل و يعني تصوّر الشيء: توهّم صورته وتخيّله واستحضره في ذهنه؛ وتصور له الشيء: صارت له عنده تمثّل مشخص أو صورة وشكل وهي عملية استحضار شيء ما أمام الأعين أو الذهن؛ وهو جعل موضوع غائب (أو مفهوم)، ملموساً بفضل صورة او رمز اوشكل (Le petit robert 1, 1984, p16)وهنا تشير إلى الأشكال البصرية والرمزية التي تجسد أفكارًا أو مشاعر داخل العمل الفني.

الفصل الثاني الاطار النظري

المبحث الاول مفهوم الديستوبيا

يعود أصل فكرة "**الديستوبيا**" إلى العصور الغابرة، وإن لم يشكل كمصطلح مستقل في تلك الحقبة. فقد بدت تباشير هذا التصور في الفلسفة اليونانية، خاصة في مؤلف "الجمهورية" لأفلاطون، حيث يطرح تصورًا حازمًا للدولة المثالية مبنيًا على تقسيم طبقي صارم ومراقبة شاملة للفرد لصالح الجماعة. وعلى الرغم من أن أفلاطون أراد تقديم تصور لمدينة فاضلة، إلا أن بعض القراءات الحديثة ترى في هذا النموذج نواة ديستوبية باكرة، تظهر فيها سيطرة الدولة على الفرد وإلغاء الإرادة الحرة، يمكن إيجاده في جمهورية أفلاطون، مثلما يمكن إيجاد اليوتوبيا في فلسفته. في جمهورية أفلاطون، يمكن رؤية شرائح من المجتمع تراها كمدن ديستوبية بحتة، حيث تتجلى آثار التبذير والتشيؤ لصالح الدولة بوضوح على مختلف المستويات، وهو ما يمثل أحد أبرز سمات المجتمعات الديستوبية لاحقًا. (Naeema Ali, p. 111 ,٢٠٠٩)الديستوبيا مفهوم مناقض لليوتوبيا التي تجسد المدينة الفاضلة والحلم بمجتمع متخيل مثالي تتوافر فيه العدالة والازدهار. مصطلح اليوتوبيا مركب، كما بيّن العديد من النقاد، ويعني «مكان جيد» ((topos– eu)أو «لا مكان» وقد دخلت الكلمة اللغة من خلال عنوان مؤلف توماس مور سنة١٥١٦ (Lyman Tower Sargent ٢٠١٦p10)ظهرت الديستوبيا بشكل كبير في الادب ولعلّ تعتبر رواية "آلة الزمن" لجورج ويلز التي صدرت في

أواخر القرن التاسع عشر وتحديداً في عام ١٨٩٥، من أولى روايات الديستوبية ،التي عكست صورة شديدة القتامة عن المستقبل وتسلط الرواية الضوء على مستقبل البشرية المظلم التي استشرفت ديستوبيا التكنولوجيا وانقسام الطبقات واتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء اما أبرز الأعمال التي أرست معالم هذا النوع الأدبي هي رواية "١٩٨٤" للكاتب البريطاني جورج أورويل، التي صوّرت مستقبلًا خانقًا تهيمن عليه الحرب الدائمة، والرقابة الحكومية، وإعادة تشكيل الوعي الجمعي. (George Orwell, 1984) اما ألدوس هكسلي من أبرز الأمثلة على استخدام مفهوم الديستوبيا في الأدب في روايته "عالم جديد شجاع" يتصارع البطل جون، الملقب بـ"المتوحش"، مع خيارات صعبة بين العيش في حضارة الدولة العالمية المتقدمة أو العودة لقريته البدائية فالديستوبيا تُعد رؤية استشرافية نقدية تُنذر بالمخاطر المحتملة إذا استمر الواقع في مساراته المظلمة" (Asmaa Ibrahim p. 769,) كان تصور الواقع الكئيب او الديستوبيا قد نشأ في الأدب والفلسفة، وأصبح شائعًا على نحو متزايد في الثقافة العالمية الحديثة و المجتمع. لقد تم تصوير فكرة العالم القاتم والقمعي في أشكال مختلفة من وسائل الإعلام والفن، مما يعكس هواجس ومخاوف العصر الحالي ، أن الواقع الكئيب قد غدا قوة تشكيل في العالم الحديث، مؤثراً على المناظر الطبيعية السياسية والثقافية والاجتماعية في عصرنا.رغم الانتشار الواسع لمصطلح الديستوبيا او الواقع الكئيب ، إلا أن تحديده ظل إشكاليًا بسبب تنوع استخداماته وتعدد طرائقه التعبيرية (أدب، سينما، فنون تشكيلية، فلسفة...)ترى الباحثة أن الديستوبيا لا تمثل فقط جانبًا مظلمًا للواقع، بل هي الجانب الآخر لليوتوبيا نفسها فكل مسعى لبناء جنة أرضية قد ينتهي بجحيم فعلي حين تتحول المقاصد النبيلة إلى وسائل قمع. من الناحية السوسيولوجية. أي محاولة لتحقيق اليوتوبيا على أرض الواقع تتطلب بالضرورة آليات سيطرة قمعية.ظهرت التصويرات المرئية لما يعرف اليوم بـ "الرؤى الكئيبة" قبل أجيال بعيدة من تشكل اللفظ ذاته، حيث عبرت الفنون منذ أقدم العصور عن قلق الإنسان الوجودي، وخوفه من الزوال، وتجاربه مع العنف والخراب والمجهول. وقد لا تحمل الأعمال الفنية القديمة هذا التصنيف علنًا، لكنها امتلأت بصور الجحيم، والموت، والسلطة القاهرة، والعقاب الأبدي، وهي صور تعدّ اليوم من أبرز سمات البنية الديستوبية في التعبير البصري.فمنذ الرسوم الجدارية في الحضارات القديمة، إلى المنمنمات الدينية في القرون الوسطى، ثم انطلاقًا إلى اللوحات التعبيرية في العصور الحديثة، حافظ الفن على كونه أداة لتجسيد الهواجس الجماعية، واستشراف المصائر القاتمة، وتحليل أو تمجيد النظم السلطوية. ومع تطور الأساليب الفنية وتغير الأزمنة، تحولت صور الجحيم إلى كنايات للحرب، وتحول جسد الإنسان المعذّب إلى رمز للسلطة، والمدينة المدمرة إلى تعبير عن القلق من مستقبل مجهول. حيث شهد التعبير البصري تحولات جذرية بفعل الحروب، والتحولات الصناعية، وانهيار المرجعيات الكبرى، وصعود التقنية الرقمية. وتصبح الصورة في هذا السياق وسيلة للتفكيك، السخرية، أو حتى الفضح العلني لأنظمة القهر والرقابة، لا مجرد أداة تمثيل من خلال تتبُع تقدُّم التصوّرات البصرية للدّيستوبيا على مرّ العصور، يظهر أنّ الفنّ لم يكُن يومًا منفصلًا عن الأزمات الوجودية، بل كان دائمًا انعكاسًا يوضح اضطرابات النفس والمجتمع والتاريخ. من مناظر الجحيم في القرون الوسطى إلى قاتمة الواقعية الحديثة، ومن الصراعات الداخلية في التعبيرية إلى التجريد القاتم لما بعد الحداثة، اتّخذ الفن الديستوبي دروبًا مختلفة تعدّت التوثيق البصري، لتصير وسيلةً نقدية تفكّك البُنى القمعية وتكشف ضعف الإنسان في مواجهة العالم. هذا المسار أبرز كيف استُعمل الشكل واللون والفراغ كألفاظ تُترجم الفقد، والانهيار، والاختناق، بل وحتى الأمل الزائف. هكذا، يتبيّن الفن الديستوبي ليس مجرّد تعبير عن خراب الواقع، بل كصوت داخلي يطالب بإعادة استيعاب الإنسان لذاته ولعالمه، ويحتوي، وسط الدمار، إمكانية النجاة.

المبحث الثاني ملامح الديستوبيا النفسية في لوحات ادوارد مونك

منذ أواخر القرن التاسع عشر، كان الفنانون أكثر اهتمامًا بالتعامل مع العملية الذهنية وتأثيرها على التجربة الإنسانية. قد تتباين الحركات والأساليب، لكن جوهر العمل نقل ذات المجتمع المعاصر المزعج إلى ديستوبيا، التعبيرية إحدى الأدوات التي عكست مشاعر متباينة، مع تركيز كبير على الفرد. بدأت الحركة بالفنان النرويجي إدفارد مونش. ظهرت لاحقًا أنماط أخرى تتضمن الوحشية والدادية والسريالية كجزء من الاستجابة التعبيرية. الحزن والألم والخوف والقلق كانت المشاعر الأكثر سيطرة، فأصبحت الموضوع المهيمن في الفن.فالتعبيرية ، في الفنون البصرية، أسلوب فني لا يصور فيه الفنان الواقع الموضوعي بل المشاعر الذاتية التي تثيرها الأشياء أو الأحداث. ويتحقق هذا الهدف من خلال تشويه الشكل والمبالغة فيه والتطبيق الحي أو العنيف للألوان. وتوجد جذورها في أعمال فينسنت فان جوخ وإدفارد مونش وجيمس إنسور إذا كانت الديستوبيات الأدبية تصور عوالم مفككة بفعل القمع السياسي، فإن مونك شيّد ديستوبيا عضوية تنبثق من جسدٍ مريضٍ وروحٍ منهكة. تجربته مع الألم لم تكن شخصية بحتة، بل تحولت إلى استعارة كونية لمجتمعات القرن العشرين التي ستغرق في الأوبئة والحروب. هذا المبحث يكشف كيف حوّل مونك معاناته إلى نبوءات بصرية.كانت ظروف حياة إدوارد مونش المبكرة قاتمة. كان الرسم وسيلته في محاولة فهم الأمور. وُلد في لوتن، النرويج، عام ١٨٦٣، ونشأ في كريستيانيا (أوسلو حاليًا).اتسمت شباب مونش بالمأساة طفولة مفجوعة: موت أمه (السل ١٨٦٨) ثم شقيقته صوفي (السل ١٨٧٧) وهو

في الرابعة عشرة، ، وشُخِّصت شقيقته الأخرى بمرض عقلي. كان يمرض باستمرار، ويعاني من نوبات حمى والتهاب شعبي. كتب مونش لاحقًا: "ورثتُ اثنين من ألد أعداء البشرية، السل والجنون".ان يُفكّر في الانتحار في شبابه. وكتب ذات مرة في مذكراته: "ملائكة الخوف والحزن والموت وقفت بجانبي منذ ولادتي"artistsnetwork.com. أثرت هذه المخاوف على أعمال مونش طوال سنواته الأولى، فضلًا عن عودته المستمرة إلى مواضيع محددة، وإعادة صياغة ورسم زخارفه المفضلة حتى شيخوخته. وكانت هذه المخاوف أيضًا موضوع معرض " مونش: بين الساعة والسرير "، المعروض في متحف ميت بروير بمدينة نيويورك. ./(artistsnetwork.com)جعل الموت كائناً يسكن بيته. لوحة "الطفل المريض" (١٨٨٦) وهي تصويرٌ مُريعٌ للحظات الأخيرة في حياة أخته صوفي، البالغة من العمر خمسة عشر عامًا، والتي تُعدّ نسخة عام ١٩٠٧ (المعروضة في متحف تيت مودرن) اللوحة الزيتية الوحيدة لمونش في مجموعة عامة في المملكة المتحدة. ليست تأريخاً للحادثة، بل نموذجاً أولياً لانعدام المناعة المجتمعية الألوان الباهتة (أخضر العفن، رمادي الغسق) تمحو الحدود بين الجسد والخلفية.يد الطفل الميتة تسقط كجذع شجرة مقطوع، بينما تشكل الأم كتلة صامتة من اليأس.شكل (١) والموت في غرفة المرض ١٨٩٣ وعلى فراش الموت ١٨٩٥يتكامل هذا التصور مع البنية الرمزية التي يستخدمها مونك لتصوير الانكسار الداخلي، مستفيدًا من الألوان الحادة والتكوينات المشوهة. ما يُميز هذه الأعمال هو أنها لا تندرج فقط ضمن التعبيرية، بل تؤسس لتيار ديستوبي يتخذ من الذات الممزقة والهوية القلقة نقطة انطلاق نحو تمثيل عالم يُفتَقد فيه الأمان والمعنى، كما ينعكس في أجواء أوروبا ما قبل الحرب شكل (٢ , ٣)قال كروغ، أحد أوائل مؤيدي مونش: "إنه يرسم، أو بالأحرى ينظر، إلى الأشياء بطريقة مختلفة عن غيره من الفنانين. لا يرى إلا الجوهر، وهذا، بطبيعة الحال، كل ما يرسمه. لهذا السبب، عادةً ما تكون لوحات مونش "غير كاملة"، كما يسعد الناس باكتشافها بأنفسهم. أجل، إنها كاملة. إنها عمله الكامل.".(Artistsnetwork)

شكل (١)

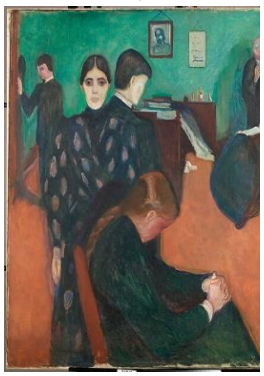

شكل (٢)

شكل (٣)

مثلت التعبيرية سبيلًا رئيسًا لتجسيد الديستوبيا عبر تحليل العلل النفسية، وقد تجسّد ذلك في إبداعات إدفارد مونش الذي حوّل خبراته مع الفناء والسقم إلى رؤية عالمية للدمار.وترى الباحثة سواءً أكان عمل مونش يرسم دراما الحياة البشرية أو المناظر الطبيعية المحيطة بأوسلو، فقد كان يكشف عن ذاته دون تحفظ. وبما أن الفن وسيلة للتواصل مع الآخرين ووسيلة للوعي بالذات، فمن البديهي أن يلعب تصوير الذات دورًا هامًا في أعمال مونش الفنية. في بورتريه ذاتي مع سيجارة (١٨٩٥)، يصور الفنانُ نفسَه غارقًا في دخانٍ أزرقَ يعكس الوحدةَ الوجودية، فيما يوضح الضوءُ الخافت تشظّيَ الهوية بين البأس البدني والوهن النفسي وتبنى رؤية ديستوبية من الظلام والتشاؤم لتصوير الذات فالبورتريه الذاتي في الجحيم هو أحد أكثر البورتريهات تأكيدًا لحياة مونش الفوضوية (الجهنمية). شكل (٤) يستخدم مونش مفهوم الجحيم لإظهار معاناته الشخصية بوضع جسده العاري المريض في بيئة حمراء قاتمة، (Alexxa Gotthardt , Nov 1, 2018) فإن العمل تأويل لنفسيته غير المتزنة. يربطول جيمس في رسم البورتريهات الذاتية أن مونش يقف في وسط الجحيم، عاريًا، صامتًا، وحيدًا. (Andrew and Paul James 2015, p70) فيعزل مونش بشدة شكله المنير مع ظله المحدق على خلفية حمراء مطورة بضربات فرشاة عريضة ومسطحة.ة (Kokoschka, Oskar ٢٠٠٦ p9,, ترسم بورتريهات مونش الذاتية مسار تطوره كفنان، إذ ترصد تطوره الجسدي والعاطفي. في لوحة "متجول الليل" ، التي رُسمت في الستين من عمره، لا يقل مونش انفعالًا عن بورتريهات شبابه. لكن تصوير الذات قد خفت حدته، وباتت المساحة الداخلية مفهومة.قبل عشرين عامًا، رسم نفسه عاري الصدر على جدار أحمر، وأطلق على عمله اسم " صورة ذاتية في الجحيم" . الآن يرتدي معطفًا، وظهره منحنيًا للأمام بفعل التقدم في السن.شكل (٥ , ٦)

شكل (٤)

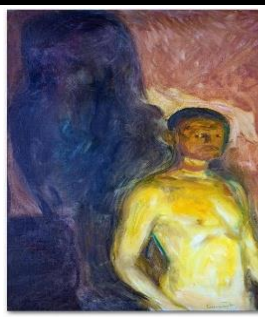
شكل (٥)

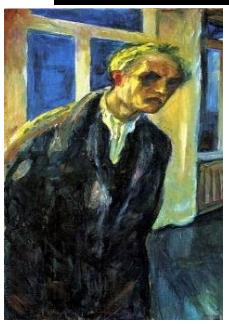
شكل (٦)

لم تكن لوحات مونش تعبر عن قلقه وهلعه وحده كما في لوحة الصرخة والعديد من لوحاته الأخرى، إنما كثيرا ما صوّر مونش قلق المجتمع الذي كان يرى أنه ألمّ بالجميع كما في لوحته المسماة "قلق" التي تصور مجموعة من الوجوه الشاحبة المذعورة. لقد عاصر مونش الحرب العالمية، كما أنه ومنذ مطلع القرن التاسع عشر بدأت وتيرة الحياة تتغير كثيرا، مع تقدم النظريات العلمية وتطور التقنيات الصناعية، وكان الفنانون يحاولون استكشاف وبحث أغوار المدن الكبيرة فعبروا عنها بأشكال مسخية تهكمية بوصفها تمثل المشهد الاصطناعي المضاد للطبيعة الحية. فعبر مونش في الكثير من لوحاته عن الأفراد الذين يطحنهم المجتمع ثم يتركهم ليواجهوا مصيرهم. لقد كان متعاطفا مع العمال وصورهم أثناء عملهم الشاق في سلسلة من اللوحات كما كان يكرر تلك الأفكار التي لم تكن تغادر فكره.ا(Maryam Adel , 2021) شكل (٧ , ٨)

شكل (٧)

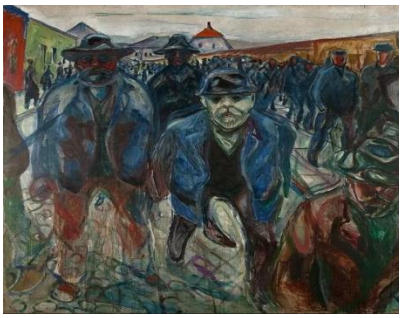
شكل (٨)

بذلك، تتحوّل هذه الأعمال إلى شهادة بصرية على انعدام المعنى وفقدان الأمان، ما يجعل التعبيرية قناة مركزية لفهم الديستوبيا بوصفها خبرة ذاتية جماعية للخراب النفسي. وقد عبّر أوسكار كوكوشكا عن هذا الأثر حين رأى أن إدڤارت مونك ظلّ يُراقب الزمان والمكان بعين مفتوحة، وامتدت نظرته إلى أعماق ذواتنا حيث يكمن الخوف. ويشير إلى أن فنه يُقدّم نوعًا من المواجهة مع القلق الوجودي المعاصر، حتى لأولئك الذين باتوا يرون في العالم تهديدًا بكارثة عالمية وشيكة، إذ يجدون في أعماله صوتًا موازيًا لهواجسهم ومرآة لقلقهم)) (, Kokoschka, ,pp. 15–18 Oskar)كان إدوارد مونش رسامًا ومصمم مطبوعات نرويجيًا، اشتهر بعمله الأيقوني "الصرخة". لعب فنه دورًا محوريًا في تطور حركات الفن الحديث، وخاصةً التعبيرية، التي ركّزت على التجربة العاطفية أكثر من الواقع المادي. وقد لامس استكشاف مونش لمواضيع كالحب والقلق والموت، بعمق، مخاوف الحياة العصرية، مما جعله شخصية محورية في التحول إلى الفن المعاصر. كان لمونك تأثيرٌ عميقٌ على الحركة التعبيرية، مُلهمًا فنانين مثل إرنست لودفيغ كيرشنر، وإميل نولده، وفرقة "الجسر" الألمانية. وقد مهد استخدامه للرمزية وعلم النفس في الفن الطريق لفنانين مثل إيغون شيلي وغوستاف كليمت. ويُعتبر تأثيره على الرسم الإسكندنافي الحديث، وحتى على الفن المعاصر، بالغ الأهمية.

يجسّد مونك في أعماله الذات البشرية بوصفها مهددة، مضطربة، وغارقة في صمت داخلي مؤلم. اللون والخطّ والتكوين في لوحاته كلها أدوات لرصد عالم ما بعد الطمأنينة، حيث تُصوّر الذات وقد تحللت تحت وطأة المرض النفسي، الفقد، والعزلة. تتمثل ديستوبيا مونك ليس في سياق سياسي مباشر، بل في انهيار الذات كأهم علامة على الدمار البشري.المؤشرات التي أسفر عنها الإطار النظري

١. تحول الديستوبيا من أدب إلى رؤية حضارية :بدأت كأدب نقدي للمستقبل ثم تطورت لتمثل رؤية ثقافية تُحذّر من الأزمات السياسية والاجتماعية والوجودية.

٢. الديستوبيا في الأدب الحديث :رسختها أعمال مثل) *1984*جورج أورويل) و*عالم جديد شجاع*)هكسلي) كأطر سردية لمجتمعات تقتل الروح.

٣. انزياح المفهوم نحو البُعد النفسي :لم تعد الديستوبيا تعني فقط القمع السياسي بل باتت تشير إلى تمزقات النفس وتشوه الذات.

٤. الفن كمُترجم للديستوبيا البصرية :تجلت في التشكيل منذ العصور القديمة عبر تصوير الجحيم، العذاب، والتفكك الاجتماعي, ظهرت في رسوم العصور الوسطى، والمنمنمات، والجدرانيات التي كرّست الهواجس الجماعية.

٥. الفن الحديث بوصفه نقدًا سياسيًا ونفسيًا :التعبير الفني تحوّل من تصوير الجمال إلى الكشف عن انهيارات العالم والذات.

٦. الديستوبيا عند مونك تنبع من الذات لا من الدولة: الانهيار في أعماله ناتج عن قلق داخلي، فقدان، وعزلة، فالديستوبيا كحالة نفسية داخلية: تحوّلت في أعمال مونك من كونها نظامًا خارجيًا إلى تجربة شعورية تمثل القلق، والخوف، والاضطراب الذهني.

٧. الطفولة المفجوعة لمونك شكلت مرجعية ديستوبية الموت، المرض، والانهيارات العائلية كانت أساسًا لانبثاق القلق في أعماله.

٨. تكرار المواضيع والهواجس: يشير التكرار في لوحاته إلى اضطراب داخلي مستمر وعدم القدرة على الشفاء من الصدمة. لعزلة والانفصال كخصائص مهيمنة: تتجلى في تكوينات مغلقة وشخصيات منعزلة عن محيطها، مما يعكس وحدة الإنسان المعاصر.

٩. اللون كأداة لتصعيد الرعب النفسي: الألوان الحادة، العنيفة، والتكوينات المشوهة تصوغ تجربة الخوف بشكل بصري صارخ

١٠. أعمال مونك كتحذير مبكر من قرن العنف :تحوّلت من تجربة شخصية إلى تمثيل لمصير جماعي قبل اندلاع الحروب الكبرى.

١١. مونك كجسر بين التعبيرية والديستوبيا: كان أحد أوائل الفنانين الذين عبّروا عن الديستوبيا النفسية عبر الشكل واللون،

الفصل الثالث اجراءات البحث

أولًا: مجتمع البحث

يتكوّن مجتمع البحث من الأعمال التشكيلية التي أنجزها الفنان النرويجي إدوارد مونك خلال الفترة الممتدة ما بين (١٨٩٠–١٩١٠)، والتي تمثل المرحلة الأكثر تجليًا لاضطراباته النفسية وتحولاته الفنية نحو التعبيرية. وقد تم حصر هذا المجتمع من خلال أرشيفات المتاحف العالمية والمصادر الرقمية الموثوقة، كأرشيف متحف مونك في أوسلو، ومتحف تيت مودرن، والمصادر الأكاديمية للفن الحديث التي أرشفت أبرز نتاجاته الفنية المرتبطة بثيمات الموت، المرض، القلق، العزلة، والانهيار النفسي، والتي تشكّل أرضية مثالية لاستكشاف الديستوبيا البصرية ذات الطابع الوجودي.

ثانيًا: عينة البحث

تم اختيار ثلاثة أعمال فنية كعينة قصدية لتمثيل تمثّلات الديستوبيا النفسية في نتاج مونك، وذلك بالاعتماد على مؤشرات الإطار النظري الذي تناول مفهوم الديستوبيا وقد تم اختيار هذه اللوحات لتنوع ثيماتها وتكاملها مع فكرة الديستوبيا النفسية التي لا تنبع من نظام قمعي، بل من ذات ممزقة تواجه فقدان المعنى.

ثالثًا: أداة البحث

اعتمدت الباحثة على أداة التحليل الفني البصري والتي تم بناؤها استنادًا إلى المؤشرات المستخرجة من الإطار النظري، وتم توظيف هذه الأداة لتحليل الرموز والمحتوى التعبيري في الأعمال عبر مقاربة تقاطع البنية الجمالية مع المحتوى الشعوري.

رابعًا: المنهج المستخدم

تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي، القائم على وصف من خلال وصف العينة وصفا بصريا ثم تحليل العينة وصولا الى هدف البحث.

رقم النموذج :١

اسم العمل "الطفل المريض" (١٨٨٦)

ادوارد مونك

زيت على قماش

تجسّد هذه اللوحة اللحظات الأخيرة في حياة شقيقته صوفي، والتي توفيت بالسل. وتُصوِّر اللوحة طفلة تحتضر (شقيقة مونك "صوفي") بجانب امرأة منحنية (الأم) في غرفة ذات إضاءة خافتة.وتمثّل هذه اللوحة تجربة مونك الشخصية مع فقدان شقيقته، وتشكّل أحد أوائل أعماله التي تناولت موضوع المرض والموت تجلس صوفي على كرسيّ متكئ، في ألمٍ واضح، مستندةً إلى وسادة بيضاء ضخمة، تحدق في ستائر كئيبة، تُصوَّر على الأرجح كاستعارةٍ للفناء، في جميع تنويعات اللوحة. تظهر بوجهٍ مُؤرق، ممسكةً بيد سيدةٍ مُسنّةٍ ثكلى، تبدو وكأنها تريد مواساتها، لكنها

مُنخفضة الرأس كما لو أنها عاجزة عن النظر في عينيّ الفتاة المراهقة. الألوان المهيمنة هي درجات باهتة من الأخضر الترابي والرمادي ، تُظهر الألوان جوًا من الفقد والذبول، وتذوّب الحدود بين الجسد والمحيط فجسد الطفلة شاحب، ويدها المتدلية تشبه "جذع شجرة مقطوع"، بينما تُشكِّل الأم كتلة صامتة من اليأس. الحدود بين الشخصيات والخلفية الضبابية غير واضحة واللوحة هنا ليست توثيقًا واقعيًا، انما استعارة لانعدام المناعة البشرية أمام الموت. تشير الألوان الباردة (أخضر العفن) إلى التحلُّل البيولوجي والنفسي. ضربات الفرشاة الخام والمتشظية تعكس عدم اكتمال الحياة وهشاشتها، كما يصفها الناقد كروغ: "مونك يرسم الجوهر فقط... أعماله الكاملة هي تلك غير المكتملة" وهي تعبر عن تقنية تعبيرية تبرز ملامح الديستوبيا هنا من خلال العجز التام، والقبول القسري بالموت كواقع حتمي. هذه اللوحة تسلط الضوء على البؤس الإنساني الخاص، وتُظهر كيف يتحوّل الحزن إلى لغة بصرية.ورمزية الديستوبية في الذوبان المتعمَّد للجسد في الخلفية يُجسِّد تفكُّك الحدود بين الحياة والموت، وهو نذير لانهيار الذات في المجتمعات الحديثة وتفكيك الأسرة وتحول المرض إلى حالة وجودية مزمنة يضفي طابعًا ديستوبيًا داخليًا.تمثِّل اللوحة "ديستوبيا نفسية" تنبثق من التجربة الشخصية لمونك (موت شقيقته بالسل)، لكنها تتحوَّل إلى نبوءة بصريَّة عن أزمات القرن العشرين الأوبئة، الحروب، وفقدان الأمان الوجودي فتتحول اللوحة إلى بيان بصري عن انعدام الحماية وغياب النظام، حيث يسود الموت في فضاء منزلي حميمي.

رقم النموذج :٢

اسم العمل:صورة ذاتية في الجحيم ١٩٠٣

ادوارد مونك

زيت على قماش

يظهر مونك عاري الصدر في وسط لوحة تهيمن عليها خلفية حمراء قاتمة، معزولًا ومضطربًا بينما يلاحقه ظل أسود كئيب. الجسد مشوَّه بضربات فرشاة عنيفة، والوجه يعبِّر عن معاناة صامتة. الإضاءة الخافتة تُبرز تعابير الوجنتين الغائرتين والعينين الحزينتين.العري لايقصد به عري الجسد المادي هو تعرية للضعف النفسي. الظل الأسود يرمز إلى شبح الموت والاكتئاب الذي لاحق مونك طوال حياته. حتى في طفولته، تذكر مونش معاناة الكآبة ووعود حياة جهنمية أخرى يصور نفسه كشخصية ضعيفة وعارية محاطة بجو ناري مشؤوم يوحي بالعذاب واليأس.الألوان كأداة اختناق الأحمر القاني (لون الجحيم التقليدي) يُستخدم لتمثيل القلق الداخلي، تعكس الألوان النارية والضربات العريضة للفرشاة اشتعال القلق والاضطراب النفسي فمونك يقف في وسط جحيمه الشخصي و تشويه ملامح الجسد يعكس تفكُّك الهوية تحت وطأة المرض النفسي والجحيم ليس مكانًا ماديًا، يعبر عن حالة وجودية من العزلة والتفكك وهذا تجسيد لقوله عن نفسه "كان المرض والجنون بمثابة ملائكة سوداء تحرسني في مهدي"، كتب عن شبابه. "لطالما شعرتُ أنني أُعامل بظلم، بلا أم، مريض، ومهدد بالعقاب في الجحيم". صورة ذاتية في الجحيم" هي تمثيل مذهل للقلق العقلي والأزمة الوجودية، وهي موضوعات تتردد صداها بعمق في المناقشات المعاصرة حول الصحة العقلية. يتحدى عمل مونك المشاهد لمواجهة صراعاته الداخلية وتجربة الخوف والمعاناة العالمية. لا تلتقط هذه الصورة الذاتية لحظة في حياة مونك فحسب، بل تتحدث أيضًا عن الحالة الإنسانية الأوسع وعن النضال من أجل إيجاد السلام وسط الفوضى الداخلية. العمل يُجسِّد فشل الحداثة في تحقيق السعادة، ويُقدِّم الديستوبيا كسجن داخلي للذات المفكَّكة التمثلات الديستوبية هنا لا توجد سلطة قمعية خارجية، بل ذات تقف في مواجهة نفسها ويُقدَّم الجحيم كفضاء نفسي داخلي، حيث يتحول الجسد إلى رمز لمعاناة الكينونة الحديثة.

النموذج رقم ٣

"القلق" (١٨٩٤)

فنان إدوارد مونش

زيت على قماش

٩٤.٠ سم × ٧٤.٠ سم

تقف امرأة في المقدمة، بينما يبدو من خلفها رجالًا. العديد من الوجوه في الخلف مشوشة، والجميع يرتدون ملابس سوداء ويعتمرون قبعات. فاللوحة تصوِّر مجموعة من الأشخاص بملامح شاحبة ومتشابهة، واقفين على جسر ضد سماء حمراء دموية. الوجوه مُشوَّهة، والعيون جوفاء، والأجساد متصلبة كالتماثيل. أن لوحة "القلق" وثيقة الصلة بعمل مونش الأشهر، "الصرخة" . فالوجوه تُظهر اليأس، والألوان الداكنة تُعبّر عن حالة من الاكتئاب. يُكرر مونش بدقة العديد من عناصر لوحة "الصرخة". يظهر الرصيف نفسه الذي احتضن شخصيةً منعزلةً، وكذلك البحيرة البعيدة، والقاربان، والكنيسة، وغيرها من المباني التي تصطف على الشاطئ، لكن بإضاءة أقل قتامة من ذي قبل. جميعها مقتبسة من العمل السابق، وكذلك الألوان الكئيبة والدوامات الكثيفة للخطوط المتوسعة مركزيًا التي تُحدد، وفي النهاية، تُحيط بالأرض والبحر والسماء. أن اللوحة تهدف إلى إظهار الحزن والأسى، وهما شعوران شائعان لدى جميع الناس.ا لألوان المهيمنة هي الأحمر القاني والأسود والأخضر الزيتوني، مع خطوط متكسرة في الخلفية. تظهر وجوه شاحبة ومذعورة في تجمع جماعي صامت، يغلفه التوتر والانفصال الجماعة المفقودة: تكرار الوجوه المتطابقة يُشكِّل جدارًا بشريًا متجمدًا، يرمز إلى العزلة في قلب الحشود والاغتراب في المجتمع الصناعي. لا توجد علاقة بين الشخصيات، مما يعكس تفكك الجماعة وفقدان التواصل.ألوان الكارثة: الأحمر (الدم) + الأسود (الحداد) + الأخضر (التعفن) = ثلاثية ديستوبيَّة تعكس تسمُّم الجسد الاجتماعي و السماء الحمراء والجسر المُلتوي يُحاكيان مدينة حديثة تتحوَّل إلى "آلة لسحق الروح"، وفقًا لأوسكار كوكوشكا (١٩٥٣).اللوحة تشخِّص الذهان الجماعي في المجتمعات الحديثة، حيث يصبح القلق الوجودي سمة مشتركة. هي نبوءة بصريَّة عن الانهيارات النفسية في عصر الحروب العالمية وتعكس اللوحة صورة مجازية لمجتمع مأزوم، حيث يسود الخوف الجماعي والانعزال الوجودي.وتوثّق الديستوبيا النفسية بوصفها ظاهرة جماعية لا فردية فقط.

الفصل الرابع

نتائج البحث:

١. تحوّلت الديستوبيا في أعمال مونك من سياق خارجي (سياسي أو تكنولوجي) إلى سياق داخلي نفسي، حيث تُجسَّد كأزمة ذاتية تعكس الفقد والمرض والقلق، لا كقمع سلطوي. تكرار مونك للثيمات في أكثر من عمل يشير إلى استدامة الأزمة النفسية، حيث يُعاد تصوير الموت كحالة مرجعية للوجود، باستخدام تشكيلات مغلقة، وألوان مهدّمة، وشخصيات هامدة. كما في الشكل (١ , ٢) لمساحات المشوّهة والتكوينات المنغلقة في لوحات مثل تُظهر تطور الديستوبيا في رؤية مونك، حيث تتحول الوحدة من صرخة شبابية إلى تأمل هادئ في الشيخوخة، ما يدل على تطوّر الديستوبيا من صدمة إلى حالة استسلامية مزمنة. كما في الشكل (٤ , ٦)

٢. استخدم مونك تقنيات تعبيرية رمزية مثل الألوان العنيفة، والتكوينات المغلقة، وتشويه الجسد لإظهار التفكك النفسي، وتحقيق تأثير بصري يترجم الألم الداخلي. في نموذج (١) حضورًا قويًا للديستوبيا المرتبطة بالفقد والانهيار الأسري، من خلال استخدام ألوان باهتة (أخضر العفن، الرمادي)، وتكوينٍ يغلب عليه الصمت والانكسار. يد الفتاة تسقط كغصن ميت، بينما الأم تجسّد قلقًا صامتًا، ما يعكس انهيارًا داخليًا يغلف العالم المنزلي المفترض أن يكون آمنًا.

٣. كرّر مونك الثيمات الديستوبية في معظم أعماله، مثل الوحدة، المرض، الموت، ما يشير إلى ديمومة الأزمة النفسية، وتحولها إلى بنية تشكيلية متكاملة لا لحظة عابرة. فنرى في النموذج (٢)ى تجسّد القلق الوجودي والتشظي الذاتي بصريًا، عبر اللون الأحمر القاني والخلفية النارية، وجسد مونك العاري المعزول وسط الفراغ. اللوحة تمثل جحيمًا ذاتيًا داخليًا، لا مكانًا ماديًا، وتعد نموذجًا بصريًا للديستوبيا الذاتية.

٤. قدّمت لوحاته تمثيلًا للمجتمع الحديث ككيان مضطرب ومعزول، حتى وسط الحشود، كما في لوحة "القلق"، مما يُظهر كيف أن التجربة الفردية للقلق قد تحوّلت إلى إحساس جمعي بالاختناق. تُظهر كيف انتقل الاضطراب من الفرد إلى الجماعة، حيث نشاهد مجموعة من الوجوه الشاحبة، تحدّق في فراغ، بدون تواصل أو ترابط. التكوين الضاغط والخلفية القاتمة يجعل المشهد وكأنه محاصر، ويجسّد قلقًا جمعيًا يتجاوز حدود الذات.

٥. ارتبطت الديستوبيا النفسية في أعمال مونك بتجربته الذاتية بشكل مباشر، ولكنها تجاوزت السيرة الفردية لتُقدّم تصورًا بصريًا استباقيًا عن الانهيار الجماعي في القرن العشرين.

الاستنتاجات :

١. تشكّل أعمال مونك وثيقة بصرية تحذّر من انهيار الإنسان المعاصر أمام تحديات الحداثة والعزلة، مما يجعلها سابقة لنبوءات الفن التعبيري الأوروبي.

٢. يُعد مونك حلقة وصل بين الرمزية والتعبيرية والديستوبيا البصرية، وبهذا ساهم في انتقال الفن من التعبير الجمالي إلى تمثيل الاضطراب الوجودي.

٣. الديستوبيا في لوحات مونك ليست نتيجة واقع خارجي قمعي فحسب، بل هي نتيجة لانهيار المعنى وفقدان الأمان الداخلي، وهي تعبير بصري عن فشل مشروع الحداثة الإنسانية.

٤. تحمل لوحات مونك قيمة فلسفية ونقدية، بقدر ما هي تشكيلية، إذ تعبّر عن مأزق الإنسان الحديث في مواجهة ذاته، والعالم، والموت كحدود مطلقة للوجود.

References

1. Ali, N. (2009). *The Dystopia of Reality and the Desired Utopia in the Novel "The Time Machine"*. Fikr Ibda' Magazine, p. 111.
2. Orwell, G. (1949). *1984*. London: Secker and Warburg.
3. Sargent, L. T. (2016). *Utopia: A Very Short Introduction*. (D. Warrad, Trans.). Hindawi Publishing.
4. Rey, A. and Rey-Debove, J. (1990). *Le petit Robert 1: Dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française* (French Edition). Paris: Dictionnaires Le Robert.
5. Merriam-Webster. (n.d.). *Merriam-Webster Online Dictionary*. Retrieved from https://www.merriam-webster.com
6. Kokoschka, O. (1953). Edvard Munch's Expressionism. *College Art Journal*, 13(1), 15–18. https://doi.org/10.2307/772388
7. James, A. and James, P. (2015). *Painting Self-Portraits*. The Crowood Press Ltd.
8. Hussein, A. I. (2020). The Egyptian Dystopian Novel. *Journal of the Faculty of Islamic Studies – Damanhur*, 5(3), 769.
9. The Guardian. (2013, November 22). *Aldous Huxley: Prophet of Dystopia*. Retrieved from https://www.theguardian.com/commentisfree/2013/nov/22/aldous-huxley-prophet-dystopia-cs-lewi
10. Artsy. (n.d.). *11 Nightmarish Depictions of Hell in Art History*. Retrieved from https://www.artsy.net/article/artsy-editorial-11-nightmarish-depictions-hell-art-history
11. Korshinsky, R. (2006). Edvard Munch: The Modern Life of the Soul & Symbolism in Prints. *Nineteenth Century Art Worldwide*, 5(2).
12. Adel, M. (2012). *Edvard Munch: Paintings Drawn from Anxiety and Illness*.
13. https://www.theguardian.com/commentisfree/2013/nov/22/aldous-huxley-prophet-dystopia-cs-lewis
14. https://www.artsy.net/article/artsy-editorial-11-nightmarish-depictions-hell-art-history